# غسان سلهب عن فيلمه «أطلال» عشية إطلاقه في الصالات اللبنانية: الفيلم يحكي عن تحول إنسان في مدينة لا تتوقف عن التحول

ريما المسمار

لم يحظَ الشريط الأخير لغسان سلهب باهتمام المهرجانات الاساسية الكبرى. «أطلال» ليس فيلماً يسهل التعامل معه لاسيما في حسابات المهرجانات الكبرى. انه عمل يتركك حائراً بين جديته في طرح الامور كما هي وبين قدرته على تمرير ومضات تقول بأن ثمة ما هو أبعد مما نراه. وهو فيلم لا ينتمي تماماً الى بيئته. او الأحرى هو ابن متمرد لهذه المنطقة. ينكرها، يعشقها، يكرهها، ينقدها... ولكنه ابداً لا يستسلم للخطاب المطالب به سينمائيوها. بل لعله ابن متمرد للمخرج نفسه، نائياً بكيانه عن «أشباح بيروت» و«أرض مجهولة» الى تخوم «الظرف الانساني» كما يسميه سلهب، غير المرتبط بمكان وانما النابع منه.

قُدم الفيلم في عرضه العالمي الاول في مهرجان لوكارنو السينمائي أوائل شهر آب/أغسطس الفائت ابان اشتعال الحرب في لبنان، وفي عرضه المحلي الاول في مهرجان «ايام بيروت السينمائية» قبل نحو عشرة ايام. ومن المنتظر ان يطلق في صالتي «متروبوليس» و«سينما سيكس» بأمبير صوفيل في العاشر من تشرين الاول/اوكتوبر المقبل.

لا يمكن القول ان الحوار التالي مع المخرج كان حول الفيلم. فالفيلم بما هو فيلم يتشكل بالنسبة الى سلهب مما هو أبعد من الصورة على الشاشة. ولكنه حوار حول بعض ما يطرحه الفيلم وخلفياته المتمثلة بهواجس مخرجه.

***

● اللافت في «أطلال» انك تنطلق من مدينة موجودة وأناس حاضرين بعد ان كانت بيروت وأهلها مثار أسئلة في فيلميك السابقين «أشباح بيروت» و«أرض مجهولة». الفيلم الحالي، بخلاف سابقيه، يتعاطى مع بيروت كواقع وحقيقة وليس كإشكالية تاريخية ومعاصرة.

- ربما لأنني في هذا الفيلم توقفت عن طرح الأسئلة. لم أعد أسأل نفسي عن ماهية هذه المدينة. ارتضيتها واقعاً وكذا بالنسبة الى شخصيات الفيلم. ولكن علاقة الفيلم ببيروت عضوية. ربما لا ينطبق على الفيلم وصفه بأنه عن بيروت او عن لبنان ولكنه حتماً نابع منهما. أعتقد ان «أطلال» فيلم عن الظرف الانساني في إطار مديني. وهو اذا اردت التحديد أكثر عن شخص منزوع من الحياة أسير به الى نهاية المطاف. ولكن الأخيرة ليست الموت بل اللاموت. انها حالة الشبح بين الحياة والموت. مقارنةً بفيلمي السابقين، «خليل» هنا لا يتطلع حوله ولا يتساءل حول علاقته ببيروت او هويتها. هو شخص يضيع هويته الإنسانية لذلك أدعوه في العنوان الانكليزي للفيلم فحُفجموش او «الرجل الأخير». ولكن هذا الرجل ليس في بيروت صدفة وليس طبيباً بالصدفة. الفيلم يحكي عن الشبح وفي هذه المدينة الاشباح تتراكم. الفيلم يحكي عن تحول انسان في مدينة لا تتوقف عن التحول. الفيلم عن عزلة الإنسان العميقة والحتمية وبيروت تفضح تلك العزلة أكثر من غيرها من المدن. هذا ليس تنبؤاً بمصير اي منهما. فمن عاش هنا يدرك ان الظلام ليس بعيداً انما تحت الأرجل. بالنسبة الي، هذا العمل يؤفلم تلك الحالة من التحول المستمر للمدينة [illegible] حالة أعاشها الى الآخر لأوصل معطياتها.

● انطلاقك من بيروت كمدينة واقعية بتلك المواصفات يعني انك وصلت الى افق مسدود من دون أسئلة وانما بقناعة لا تخلو من سوداوية.

- لا أنكر ان نظرتي تذهب الى السوداوية. المدينة تحولنا أشباحاً.

● ما هي علاقتك بفكرة الشبح التي تتردد في كلامك وأفلامك؟

- هناك امران يوضحان ربما تلك الفكرة ومصدرها. الاول هو انني أشعر ان الانسان يتأرجح بين نفسه وشبحه. أحياناً أرى الناس اشباحاً وأشعر انني شبح في علاقتي بالناس والحياة. والامر الثاني هو السينما نفسها كحالة تشبه الحياة ولكنها ليست الحياة. السينما بالنسبة الي أقدر الفنون على التقاط شبح الحياة. والانسان بعزلته المحتومة يذهب رويداً الى حالة الشبح لاسيما اذا كان محيطه، مثل بيروت، لا يترك له مساحة للتنفس وأخذ مسافة من التحولات. بيروت بتاريخها القصير عاشت تحولات كبرى أكبر من ان يستطيع الانسان هضمها او مواكبتها. هكذا ندخل في العزلة.

● ولكن لماذا تقول ان السينما هي شبح الحياة؟ لماذا لا نقول انها صورة الحياة؟

- الامر سيان. الصورة بالنسبة الي شبح. او هي هكذا في وعيي ورؤيتي ،انا أعمل على تكريس تلك الرؤية. فعندما يطول زمن الصورة على الشاشة. وهو ما أفعله غالباً في افلامي فإنها تحاول ان تلتقط شيئاً أبعد مما نراه وان تمنح المشاهد الوقت لقراءة ما خلفها. الشبح يعني العزلة ويعني ان نخطو خارج ذواتنا والتطلع اليها. في تلك اللحظة يتولد الازدواج بين انفسنا واشباحنا. ان تقطير تلك الحالة من الحياة هو الفيلم. في الحياة ادوات تمكننا من العيش ومن مواجهة الذات. هي الأحاسيس الحب والكراهية وهي الآخر الذي يطمئنك الى وجودك. الفيلم هو خارج الأحاسيس وخارج العلاقة بالآخر. انه بين خليل ونفسه او خليل وشبحه.

● رغم ذلك فيلمك حافل بالتفاصيل الحياتية ولعله أكثر افلامك التقاطاً لمواقف وتفاصيل واقعية جداً كالحوار والمصادفات اليومية...

- ربما لأنني احتجت الى خط واقعي لأبرز تمايز اللاواقعي. أما الحوار فقليل وعادي بخلافه في «أرض مجهولة» حيث كانت المسرحة سمته الاساسية للتعبير عن اننا نعيش في مونولوغات وليس «ديالوغ».

● لقد عالجت تلك الافكار في افلامك السابقة ولكنك في العمل الحالي ذهبت الى الاستعارة المباشرة لفكرة الشبح من خلال ميثولوجيا مصاص الدماء.

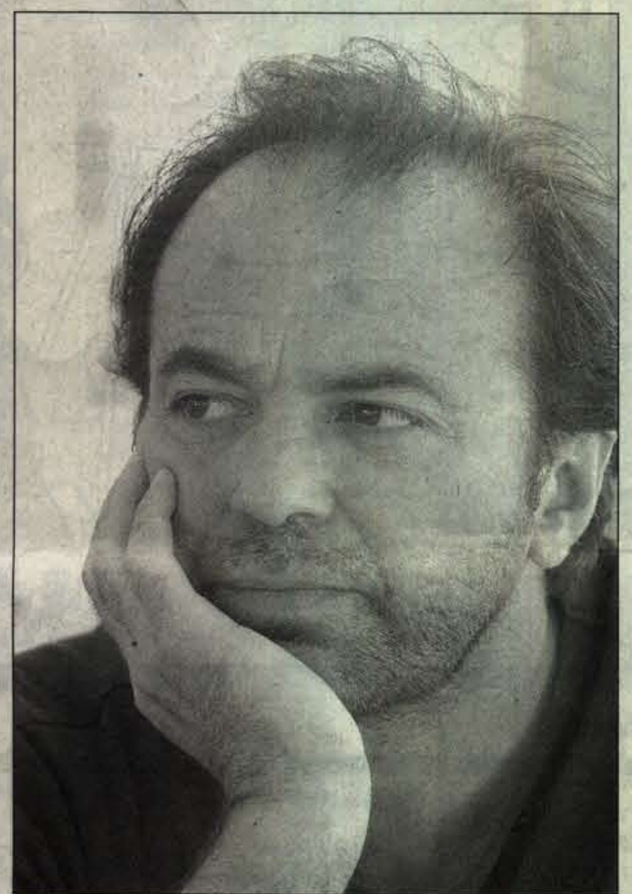

● غسان سلهب (حسام شبارو)

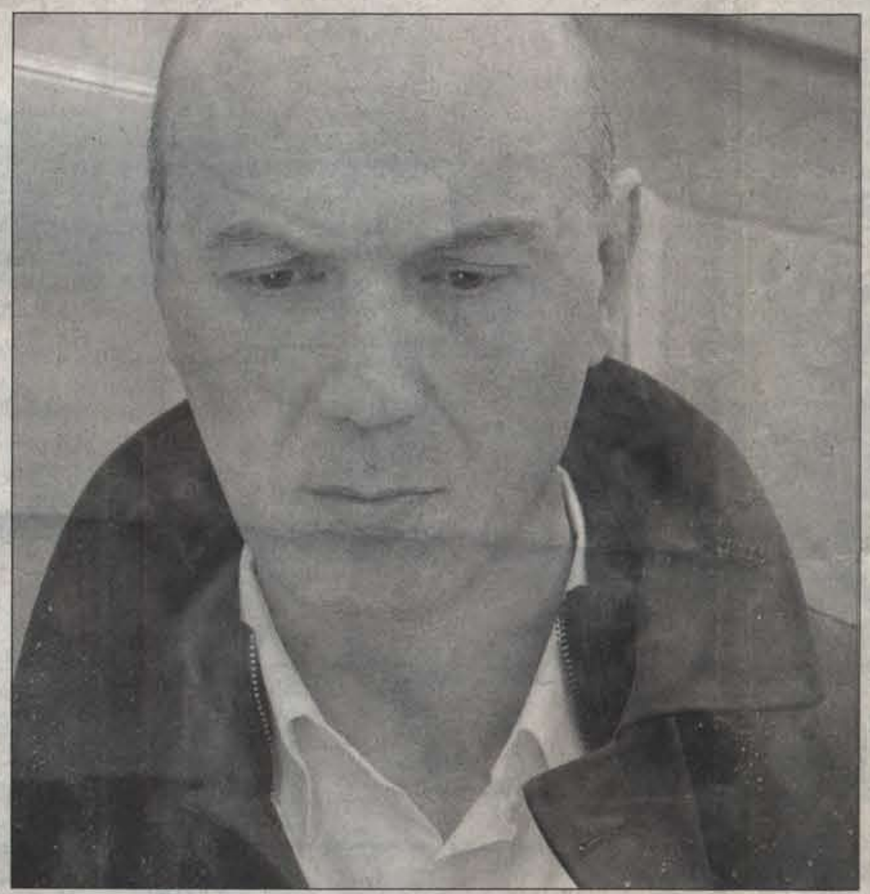

● كارلوس شاهين في دور «خليل»

- هذا صحيح لان ميثولوجيا «الفامباير» او مصاص دماء عظيمة وتجذبني وأعتقد انها تشكل الاستعارة المثلى للسينما. مصاص الدماء هو المخلوق السينمائي المطلق لأنه مثل السينما في علاقتها بالحياة يتحول شبحاً، ومثلها ايضاً يتقلص تجاه الضوء وينجذب في اتجاه العتمة. كذلك يتشاركان، السينما ومصاص الدماء، لعبة السلطة المغوية. كلاهما يغوي شريكه، المشاهد او الضحية. هو لا يرى صورته في المرآة اي انه لم تتبقَ له صورة. هكذا ينسحب «خليل» بكل كيانه من الحياة، يترك كل شيء ويذهب الى العتمة.

● التماهي هنا واضح في ما ذكرت بين مضمون الفيلم وأدواته السينمائية. كل تلك العلاقة بين تحولات الشخصية وبين عناصر السينما الى اين تقود برأيك؟

- أعتقد ان هدف اي مخرج يصنع فيلماً ان يذهب أبعد من الرواية وأبعد مما نرى. ولكن تلك تبقى محاولة. فالمخرج لا يملك كل الأدوات. انه يركب العناصر في محاولة لتحقيق شيء أبعد لجعل الامور تحدث على النحو الذي ذكرنا. هذه لغة السينما.

● على الرغم من الجسم التحليلي الذي يرتكز الفيلم عليه لاسيما فكرة الشبح الا انه اقل افلامك ذهنية وأقربها الى الحسي والمحسوس؟

- [illegible] فأنا ايضاً فطري وحسي ولست فقط ذهنياً. لعل ذلك الجانب ظاهر أكثر في هذا الفيلم. وهناك أشياء كثيرة تفلت من سيطرتي وأراها فجأة على الشاشة. في هذا الفيلم، على المشاهد ان يثق بمشاعره من دون ان يحلل او يفهم. فقط يترك لمشاعره ان تقيم حواراً مع الفيلم.

● ذكرت المشاهد غير مرة في كلامك وهو أمر غير معتاد. هل لعبت في هذا الفيلم على العلاقة بالمشاهد في حين انك لم تضعه في حساباتك المباشرة في افلامك السابقة؟

- المشاهد طرف اساسي في هذا الفيلم اذا ارتضى ان يكون ذلك. علاقته بالفيلم عضوية وتجربته جسدية. هناك لعبة غواية بين المشاهد والفيلم تماماً كالتي بين مصاص الدماء وضحيته. كما نرى في الفيلم، الناس لا تقاوم مصاص الدماء بل تستسلم له كتراجيديا لا يمكن ايقافها. السينما هي ايضاً سلطة تُمارس على المشاهد.

● هل ينطبق ذلك على علاقتك ببيروت؟ هل هي علاقة غواية قاتلة؟

- لا أريد تصنيفها ولكن واضح بالنسبة الي اننا لا نبني المدينة ولا نعطيها الوجه الذي نريد. نحن نلحق بها حيث تذهب. الطريقة الوحيدة لتعامل مع ذلك هي ربما ان نكون اشباحاً؟

● تقصد ان ندرك اننا اشباح؟

- ان نفهم اننا مزيج مما نحن عليه ومن اشباح. نحن نعيش الحياة بما لا نراه. معرفة ذلك او عدمها مأساة. يمكن ان نموت من دون ان نعرف ذلك. واذا عرفنا فهذا يعني اننا قطعنا الحدود بين الانسان والشبح الى حالة الشبح. المعرفة تتضمن خطر ان يغلب علينا الشبح وعدم المعرفة خطر ايضاً.

● ماذا يحدث اذا قرأنا الفيلم حرفياً؟ هل هو فيلم نوع (genre) يمكن الامساك بتقاليده ومتابعتها؟

- هو فيلم ينطلق من النوع، من تاريخ طويل لسينما مصاص الدماء ويأخذ من ادواته تفاصيل الضوء والعتمة والانعكاس في المرئي. [illegible] والشر والتحول المرئي وغيرهما. ولكن الفيلم لا يلعب ضمن القواعد المعروفة. لا مكان للتماهي هنا بين المشاهد واحدى شخصيات الفيلم. وفي غياب الحبكة الدرامية، يصبح مكان المشاهد أصعب. دخول المشاهد في الفيلم رهن بلعبة الغواية التي لا تكشف عن شروطها. ولكن قراءة الفيلم متعلقة بالتجربة الشخصية لكل مشاهد. الفيلم بالنسبة الي ليس استعارة للحرب ولكنني لا استطيع ان اقول انها قراءة خاطئة ايضاً!

● ولكن الصراع بين الخير والشر يتمثل أحياناً في مقاومة «خليل» للتحول الذي يعتمل في داخله.. وهنا ايضاً نلاحظ كيف يختلف خليل عن شخصياتك السابقة في انه يقوم بفعل ما بينما الأخيرة مستسلمة لأقدارها.

- الصراع هنا بين خليل ونفسه. العدو ليس خارجياً بل داخلي. هو العدو والمخلص في آن. مقاومة خليل هي فعل ولكنها تذهب سدى. كذلك بالنسبة الى الراقصة التي تجسد من خلال الفلامنكو، رقصة التحدي، صراعاً داخلياً وغواية مع الكاميرا. ولكنها تنتهي ضحية من ضحايا مصاص الدماء. ما يحدث في الحياة أقوى منا. سيطرتنا على حيواتنا وهم كبير.

● هل هذا الفيلم هو طريقتك الخاصة في المقاومة؟ أقصد الخروج من دائرة الحديث على بيروت والحرب وما أصبح من «مسلمات» الرؤية للمدينة وتاريخها؟

- هو ذلك وليس ذلك. أقصد تنتابني احاسيس متناقضة تجاه الفيلم. أحياناً أشعر انه عني وعن علاقتي ببيروت وأحياناً أخرى اراه بعيد جداً عن هنا. ولكن الأكيد هو انه ثمرة تجربتي وحياتي في بيروت. الكلام على بيروت ليس هدفي ولكنه موجود اذهب اليه كما يذهب الانسان الى الايمان من دون ان يعرف الى اين بالتحديد. لم يعد بإمكاني ان افصل بين من انا وبين بيروت وحياتي فيها. لذلك أعتقد انها ملهمتي بشكل لا يقبل النقاش ولا التفسير ايضاً. كلانا متداخلان.

● الممثلون انفسهم يتنقلون بين افلامك مع فارق انك في «أطلال» تترك المجموعة لتلحق بشخص واحد.

- رحلة «خليل» يمكن ان تكون رحلة اي من شخصيات افلامي السابقة. ليس صدفة ان يلعب عوني قواص دور مصاص الدماء وان يكون الرجل العائد من الموت في «اشباح بيروت». كارلوس شاهين يلعب دور «خليل» هنا وكارلوس بالنسبة الي أكثر من ممثل. فهو بالاضافة الى قدرته على قول اشياء كثيرة في الدور بأقل ما يمكن من الكلام، هو ايضاً يختزل شيئاً أبعد. هو حاضر وغائب في الوقت عينه. هو «أطلال» انسان. لقد رأيت الشبح فيه قبل ان اصوره. الكتابة مع كارلوس في ذهني وجهتني الى مكان خاص يشبه كارلوس. انها كيمياء.

● فنياً للفيلم الحالي ايضاً خصوصية ربما لا تنفصل تماماً عن فيلميك السابقين ولكنها مختلفة. الهواء بين المشاهد وداخلها مضغوط هنا والتجزيء اقل.

- الفيلم يبدأ بتقطيع يشبه الافلام السابقة ولكنه سرعان ما يضيق ليصبح حاد الرأس. وينسحب رويداً من المعاصر الى الكلاسيكي حتى بالمعنى السينمائي. فالفيلم يصبح اقرب الى الابيض والاسود مع تحوله الى العتمة والى السينما الصامتة مع انعزال «خليل» وصمته. لا اسمي تلك تحية ولكنها سفر في السينما وفتح حوار مع افلام مورنو الاولى التي استطاعت ان تلتقط المدينة واشباحها. «خليل» بالنسبة الي حفيد «نوسفيراتو» من دون ان يعرف.

● مازال هناك شق من الفيلم شديد الجاذبية والحضور هو الماء. الماء رمز الحياة ولكنها في فيلمك تتحول عالماً مظلماً...

- الماء عزلة ايضاً. ولكن الفكرة الاساسية منها كانت ان ارى بيروت من زاوية ثانية. في المحصلة، الماء هو عالم «خليل» الذي ينسحب اليه وحيداً بما يهيئه للذهاب الى عالم آخر من العزلة في نهاية الفيلم.

● أعتقد انك وصلت في هذا الفيلم الى مكان متطرف جداً في علاقتك بالاشياء حولك. ماذا ستتوقع منك تالياً؟ تكملة ما؟

- لا أنكر أن فكرة فيلم عن حياة الشبح وعلاقته الغريبة بالحياة تراودني ولكن ليس الآن. في هذا الفيلم ذهبت بعيداً جداً في علاقتي بالزمان والمكان وبكل شيء. لا يعني ذلك انني لا اريد ان اقول اشياء اخرى. ولكنني أمام خيارين اما الذهاب ابعد وتالياً الاقفال على نفسي تماماً وهذا ما يعني مشكلات كبرى مع التمويل والتوزيع و..و.. واما أن آخذ خطوة افقية أعتبرها جسراً من دون ان ارفض «أطلال». ولكن العودة الى شيء جديد براديكالية «أطلال» يلزمه بعض الوقت.